
ملحق ٥
خواطر
إمام الدعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

اللواء الإسلامى

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" قرآن كريم

● السنة التاسعة العدد (٤١٩) ● الخميس ٥ من رجب ١٤١٠ هـ - ١ من فبراير ١٩٩٠م ..

بسم الله الرحمن الرحيم

"التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ *"

(الآيات من ١١٢ إلى ١١٦ من سورة التوبة)

خواطرى حول القرآن الكريم

الإيمانُ شرطٌ لقبولِ العبادةِ ولذلكَ فإنَّ اللَّـهَ لايقبلُ عبادةَ المنافقِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد وقفنا فى اللقاء السابق عند قول الحق سبحانه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »

وقلنا إنه بعد أن تكلم الله سبحانه وتعالى .. عن المؤمنين الذين اشترى منهم انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .. تكلم عن صفات هؤلاء المؤمنين - فقال جل جلاله : « التائبون » .. والتوبة هنا معناها انهم رجعوا الى ايمان الفطرة بعد أن طرات عليهم الغفلة .. وقال « العابدون » .. والعبادة معناها طاعة الله فى كل ماأمر به .. والامتناع عما نهى عنه .. وقال : « الحامدون » .. اى الذين يستقبلون كل قدر الله عليهم بالحمد والرضا .. لان الذى يجرى عليهم القدر حكيم .. لايجرى عليهم الا ماكان فى صالحهم .. واذا استقبلنا الله بالرضا .. الهمنا الحق سبحانه وتعالى الحكمة منها ..

أنـواع السياحة

وقال « السائحون » فى الأرض هى السير فيها .. وهناك سير اعتبار للتفكر والتدبر فى ملكوت السماوات والأرض .. وفى آيات الله فى كونه .. زيادة فى تاكيد الايمان .. وهناك سير او سياحة للاستثمار .. ليبتغى الانسان من فضل الله .. وهناك سياحة للترفيه .. يزور الانسان اقطار الدنيا ليشاهد الآثار .. سياحة الاستثمار خاصة بالرجال .. هم الذين يضربون فى الأرض من اجل المال والرزق .. وسياحة الاعتبار أمر مشترك بين الرجل والمراة .. بدليل ان الله سبحانه وتعالى قال فى وصف النساء :

« عسى ربه إن طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا »

« الآية ٥ من سورة التحريم »

وسائحات هنا إما ان تكون سياحة اعتبار أو سياحة فى صحبة الزوج .. والسياحة اطلقت على الصيام .. لان السياحة تخرجك عما ألفت من إقامة فى وطن ومال وأهل .. والصيام يخرجك عما ألفت من طعام وشراب وشهوة ..

اذن فهما مشتركان .. فى الاخراج عن إلف العادة ..

ثم قال الحق سبحانه وتعالى :

« الراكعون الساجدون »

اى المقيمون للصلاة .. فالركوع والسجود أمران لايحدثان الا فى الصلاة .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

« يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »

« الآية ٤٣ من سورة آل عمران »

اى أن الحق سبحانه وتعالى .. يطلب من مريم عليها السلام أن تكون من المصلين .. وحركة الصلاة هى التى يحدث فيها الركوع والسجود ..



الافتاء بغير علم

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى :

« الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » ..

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مكلف بهما امة محمد صلى الله عليه وسلم .. مصداقا لقوله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

« من الآية ١١٠ من سورة آل عمران »

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. لايمكن ان يتما الا اذا الزمت

إذا رأيت إنسانا يفتي بدون علم

فقل له : احترم دينك كما تحترم دنياك

نفسك بمنهج الله .. فليس من المعقول .. أن تامر بشيء وانت لاتفعله .. او تنهى عن شيء وانت تزاوله .. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صلاح وهدى .. متعد من النفس الى الغير .. بعد أن تكون النفس قد التزمت به .. ويقتضى أن تعرف المعروف الذى تأمر به .. وتعرف المنكر الذى تنهى عنه .

اذن فلابد أن تكون من المتخصصين فى معرفة احكام الله .. ومعرفة حدود الله حلالا وحراما .. اما أن ياتى اى انسان .. لايعرف شيئا عن الدين .. ويقول انا آمر بالمعروف وانهى عن المنكر .. تقول احترم دينك .. على الأقل احترامك لدنياك .. فكل عمل لابد أن يزاوله آل فكر ومتخصصون فيه ..

حدود الله

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى :

« والحافظون لحدود الله »

والحدود جمع حد .. وهى تاتى فى القرآن الكريم على معنيين .. المعنى الأول المحافظة على أوامر الله .. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

« تلك حدود الله فلا تعتدوها »
« من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة »

اى أن كل اوامر الله هى حدوده .. فلا تتعدى الحدود .. وإما ان يكون القول فيما نهى عنه الله .. وفى هذه الحالة يقول الحق سبحانه وتعالى فلا تقربوها .. مصداقا لقوله جل جلاله :

« تلك حدود الله فلا تقربوها »
من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة »

الايمان والعبادة

لان مانهى الله عنه .. فيه إغراء للنفس البشرية .. فلو اقتربت منه فستقع فيه .. بعد ان اعطانا الحق سبحانه وتعالى .. اوصاف المؤمنين - الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم بالجنة .. قال :

« وبشر المؤمنين »

اى أن الذين يسلكون هذا الطريق .. ويضحون باموالهم وانفسهم فى سبيل الله .. ويكون سلوكهم طبقا ليقين الايمان .. فهؤلاء لهم البشرى من الله سبحانه وتعالى .. اى لابد ان تتم كل هذه العبادات .. عن ايمان صادق بالله سبحانه وتعالى .. وليس عن نفاق اورياء . أو سمعة او غير ذلك .. ولذلك لو ادى المنافقون والمراءون كل هذه العبادات .. فلا اجر لهم .. لأنهم لم يؤدوها ايمانا بالله .. فالايمان شرط سابق .. لأى عمل يتقبله الله .. لابد أن يكون العمل خالصا لوجه الله .. هؤلاء المؤمنون يبشرهم الله .. اى يعدهم باشياء ستسر نفوسهم .. وتجعل وجوههم متهللة البشرة ناطقة بالسرور ..



الاخوة فى الاسلام

وبعد ذلك يتحدث الحق تبارك وتعالى عن شيء شغل بال المؤمنين .. الذين لم يؤمن اباؤهم وظلوا على الكفر .. ماهى حقوق الأبوة فى هذه الحالة ؟

الحق سبحانه وتعالى جعل القرابة فى الاسلام .. قرابة الدين وليست قرابة النسب .. وجعل الاخوة فى الاسلام .. اخوة دين وليست اخوة نسب .. ولذلك فلا قرابة .. بين اخ مؤمن واخ كافر .. ذلك لان ولاءنا وحبنا .. لله سبحانه وتعالى اولا .. وحقوقه جل جلاله اولى من قرابة الدم .. فاياك أن تاخذك عاطفة الحنو والرحمة .. بالنسبة لاب او اخ كافر .. وتستغفر له وتحسب ان ذلك من البر .. لأن الله سبحانه وتعالى .. اولى أن تكون بارا به من ابيك او اخيك ..

واقرا قول الحق سبحانه وتعالى :

« ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم »

الأمر فى هذه الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومادام الله تعالى قد بدأ برسوله عليه الصلاة والسلام .. فمن باب اولى المؤمنون .. لان الله سبحانه وتعالى .. لو اراد أن يكرم احدا من الآباء من اجل احد من الأبناء .. لأكرم انبياءه اولا .. كلمة : « ماكان » .. اى لاينبغى أن تفعل شيئا انت قادر على أن تفعله .. ويقال ايضا ماكان لك أن تفعل .. اذا كنت غير مؤهل ان تفعل شيئا .. تاتى لشخص فقير جدا وتقول له ماكان لك ان تشترى فيديو .. اى لاتستطيع ان تشترى فيديو .. وتقول لشخص ماكان لك أن تشترى .. اى ماينبغى لك ان تشترى فيديو .. اذن فهناك فرق بين نفى الامكان ونفى الانبغاء .. قول الحق سبحانه وتعالى :

« بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم »

كيف عرفوا انهم اصحاب الجحيم ؟ .. بانهم ماتوا على الشرك او الكفر .. فاصبحوا يقينا اصحاب جحيم .. او انهم مصرون على الشرك او الكفر .. فاصبحا ايضا أصحاب الجحيم .. اذن ففى كلتا الحالتين .. سواء أصروا على الكفر أو ماتوا عليه .. لايصح ان تستغفر لهم .. وانت منهى عن هذا الاستغفار

ياتى بعض الناس ليقولوا .. ابراهيم استغفر لابيه .. والحق سبحانه وتعالى يقول .. ان ابراهيم قال لأبيه :

« سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا »
« الآية ٤٧ من سورة مريم »

اى ان الحق سبحانه وتعالى .. يحب ابراهيم عليه السلام .. وربما يكرمه فى ان يغفر لأبيه .. ونقول قبل أن تثيروا هذا الاعتراض .. اقرا قول الحق جل جلاله :

« وماكان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه »
« من الآية ١١٤ من سورة التوبة »

وابراهيم له صفات خير كثيرة جدا .. لدرجة ان خالقه سبحانه وتعالى يقول عنه :

« إن ابراهيم كان أمة »
« من الآية ١٢٠ من سورة النحل »

لماذا ؟ .. لأن خصال الخير لاتوجد مجتمعة .. فى شخص واحد او اثنين او ثلاثة .. بل صفات الخير موزعة على الناس كلها .. هذا فيه الأمانة ..

وهذا فيه الصدق .. وهذا فيه الشهامة .. وهذا فيه الحلم .. وهذا فيه الكرم الخ .. ولكن لايمكن ان يجمع شخص واحد كل خصال الخير .. والله سبحانه وتعالى ينثر خصال الخير فى خلقه .. حتى يوجد تكافؤ الفرص .. كذلك المهن والحرف والعبقريات والمواهب .. منثورة بين الناس .. حتى يلتحم المجتمع .. فلا يستطيع إنسان بمفرده أن يفعل كل شيء .. بل المجتمع منثور المواهب .. لنحتاج الى بعضنا البعض، ونتماسك .. عندما ياتى الحق سبحانه وتعالى ويقول :

« إن إبراهيم كان أمة »

اذن فخصال الخير التى تتفرق فى الأمم .. قد جمعت فى ابراهيم .. وابراهيم عليه السلام .. مادام جامعا لصفات الخير .. حين ياتى له تكليف من الله ينفذه بعشق .. وليس لمجرد اداء التكليف .. واذا قرأنا قول الحق سبحانه وتعالى :

« وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن »
« من الآية ١٢٤ من سورة البقرة »

اى أدى ماكلف به بتمام وكمال وعشق .. واراد الله أن يكافئه على ذلك .. فقال جل جلاله :

« إنى جاعلك للناس إماما »
« من الآية ١٢٤ سورة البقرة »

إمامة إبراهيم

واماما يعنى قدوة او اسوة للناس .. لأنه جامع لخصال كاملة .. فيصبح اسوة للناس كلهم .. والأسوة او القدوة لابد أن تكون من نفس الجنس .. الذى تعيش معه وبقدراته .. فلا ياتى الله سبحانه وتعالى .. ويجعل الملائكة أسوة للبشر .. لأن الملك له قدرات لاتتساوى مع البشر .. فهو مخلوق من نور .. غير قادر على المعصية .. يفعل مايامره به الله .. ولذلك فهو لايصلح اسوة لنا .. لأن قدراتنا اقل من قدراته .. فكيف نفعل مثله ؟ .. وهذا مايبطل دعوى الألوهيه لعيسى عليه السلام .. لأنه لو قال عيسى افعلوا كما افعل .. لتصلوا الى رضا الرب .. نقول له لانستطيع لانك اله ونحن بشر .. اذن فدعوى الألوهية لعيسى تنقض ان يكون اسوة للناس .. لأنه لابد للأسوة والقدوة .. من الاتحاد فى الجنس .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

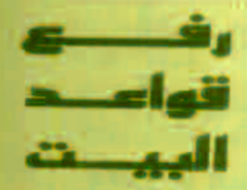
« ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا »
« الآية ٩٤ من سورة الاسراء »

اى انهم متعجبون ان يبعث الله رسولا من البشر .. يطلب الحق سبحانه وتعالى من رسوله ان يرد عليهم .. بانهم لم يفهموا الحكمة من بشرية الرسول :

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »
« الآية ٩٥ من سورة الاسراء »

اذن فلابد ان يكون الرسول .. من نفس جنس المرسل اليهم .. وإلا فكيف يطالبهم بأن يفعلوا مثلما يفعل .. وهو ملك أو اله وهم بشر ؟ .. مستحيل





عندما امر الله إبراهيم .. أن يرفع القواعد من البيت .. يقول تبارك وتعالى :

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت »
« من الآية ١٢٧ من سورة البقرة »

الله وصف الخليل إبراهيم بأنه أمة

لانه جمع فيه خصال الخير التى تتفرق فى الأمم

رفع القواعد معناه ايجاد البعد الثالث وهو الارتفاع .. لأن الشيء له بعد اول هو الطول .. وبعد ثان هو العرض .. والاثنان يعطيان المساحة .. وبعد ثالث وهو الارتفاع يعطينا الحجم .. لذلك فان مساحة الشيء تحسب بضرب الطول فى العرض .. وحجم الشيء يحدد بضرب الطول فى العرض فى الارتفاع .. بعض السطحيين يقولون إن ابراهيم .. برفع القواعد من البيت قد بنى الكعبة .. نقول لهم لا .. انه قد رفع القواعد فقط .. والدليل على ذلك أن ابراهيم عليه السلام .. حينما اخذ زوجته هاجر وابنها الرضيع اسماعيل الى مكة .. قال :

« ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم »
« من الآية ٣٧ من سورة إبراهيم »

اذن فالبيت المحرم موجود .. قبل ان يرفع ابراهيم القواعد .. ورفع القواعد من البيت تم بعد فترة طويلة من وجود هاجر وابنها اسماعيل فى مكان البيت .. لأن اسماعيل عليه السلام .. كان رضيعا عندما اخذه أبوه وتركه عند بيت الله الحرام .. ولكن ساعة اقامة القواعد من البيت .. كان اسماعيل شابا يافعا .. بدليل انه اشترك مع أبيه ابراهيم عليه السلام فى رفع القواعد مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل »
« من الآية ١٢٧ من سورة البقرة »



ابراهيم يعشق التكليف

ومادام اسماعيل اشترك فى البناء .. فلابد ان يكون شابا يافعا يقدر على ذلك .. الله امر ابراهيم عليه السلام أن يرفع القواعد من البيت .. وكان يكفى أن يرفع ابراهيم القواعد .. على قدر طول قامته .. ويكون بذلك قد نفذ امر الله جل جلاله .. ولكن ابراهيم كما قلنا يعشق التكليف .. ولذلك جلس يفكر كيف يزيد عما امر الله .. من نفس نوع ماامر به .. فهداه فكره الى ان يحضر حجرا عاليا .. ليزيد ارتفاع القواعد من البيت .. بقيمة ارتفاع الحجر .. وهذه آية انه اذا كلف الانسان امرا من الله .. فانه يحاول ان يزيد فيه .. من جنس مافرضه الله عليه ..

يبكى من خشية الله

ويقول الحق سبحانه وتعالى :

« إن إبراهيم لأواه حليم » ..

اى ان طبع ابراهيم كان اواها وحليما .. والأواه هو الذى يكثر من لوازم التوجع والتاوه .. كان يكون كثير البكاء خوفا من الله .. وخوفا على الناس .. وهم يرتكبون المعاصى .. وهو يعرف انهم سيعذبون .. وكون ابراهيم عليه السلام اواه .. هو لون من السلوى .. يجعلها الله فى بعض عباده .. ولذلك يقول الشاعر

ولابد من شكوى الى ذى مروءة ..

لأن الشكوى الى صاحب المروءة تجعله يواسيك او يتوجع لألمك .. او يدعو الله لمساعدتك .. وهل هذه سلوى ؟ .. نقول نعم .. فالذى يواسيك يخفف عنك المصيبة .. ويقول لك فلان حدث له كذا وفلان حدث له كذا ويتاوه لك .. اذن فالتاوه علامة على الشفافية ..

والرافة والرحمة فى النفس البشرية .. وابراهيم اواه لأن هذا طبع فيه .. يتالم لمصائب الخلق كل الخلق .. فان كانت المصيبة لقريب .. يكون التاوه اكبر .. فان كانت لأبيه تكون اكبر واقوى .. والحق سبحانه وتعالى وقف امام طبع ابراهيم الأواه .. الذى يحزن لمعاصى الخلق كلهم .. وقال له .. اياك ان تستغفر لأبيك .. وهنا وقفه لتصفية المسائل بين مدارس العلم والعلماء فى العالم كله .. والوقفة هنا ان الله سبحانه وتعالى .. منع ابراهيم ان يستغفر لأبيه بعد ان تبين انه عدو لله .. نقول مادام ابو ابراهيم عدوا لله .. فاين ابراهيم من ذلك العدو .. اذن فيكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انا خيار من خيار من خيار) يحتاج إلى مناقشة .. لأنه مادام ابو ابراهيم عدوا لله .. يكون قد دخل فى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم احد اعداء الله .. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (مازلت انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات) .. فكيف ؟

التصفية العلمية

نقول إننا نريد ان نصفى المسالة تصفية علماء .. ماهو الأب ؟ .. الأب هو من جئت من صلبه .. او جاء ابوك من صلبه .. اذن فهناك اب مباشر وهو الذى ولدت له .. وابوه هو جدى .. هذا هو الأب الذى نعرفه ..

ولكن نجد ان القرآن الكريم .. حين تعرض لهذه المسالة فى سورة يوسف التى جاء فيها مادة الأب ستا وعشرين مرة .. يوسف قال لابيه :

« ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا »
« من الآية ٤ من سورة يوسف »

هذه واحدة .. وجاء قوله تعالى :

« ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق »
« من الآية ٦ من سورة يوسف »

وتاتى الثالثة .. فى قوله سبحانه :

« إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة » .
« من الآية ٨ من سورة يوسف »

والمرة الرابعة :

« إن أبانا لفى ضلال مبين »
« من الآية ٨ من سورة يوسف »

والمرة الخامسة :

« اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم »
« من الآية ٩ من سورة يوسف »

والمرة السادسة

« ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف »
« من الآية ١١ من سورة يوسف »

والمرة السابعة :

« وجاءوا أباهم عشاء يبكون »
« الآية ١٦ من سورة يوسف »

والمرة الثامنة :

« ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا »
« من الآية ١٧ من سورة يوسف »

ثم بعد ذلك عندما القى الاخوة يوسف فى الجب .. والتقطه السيارة وباعوه للعزيز .. ودخل السجن ومعه سجينان .. جذبتهما اليه تصرفاته السلوكية .. وقدرته على تفسير الرؤيا .. وجاءه كل منهما برؤيا .. وجلس يقص عليهما قصة الايمان .. ويقول

« إنى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة أبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب »
« من الآيتين ٣٧ و ٣٨ من سورة يوسف »

ثم بعد ذلك عين يوسف عزيزا لمصر .. وجاءه اخوته للحصول على الحبوب فى وقت القحط ..

« قال لهم إئتونى بأخ لكم من أبيكم »
« من الآية ٥٩ من سورة يوسف »

فردوا عليه بقولهم

« سنراود عنه أباه »
« من الآية ٦١ من سورة يوسف »

وعندما عادوا تقول السورة :

« فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا ياأبانا »
« من الآية ٦٣ من سورة يوسف »

وعندما اراد يوسف ان ياتوا باخيه وطلب منهم ذلك

« ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم »
« من الآية ٥٩ من سورة يوسف »

ولما احتال يوسف لياخذ اخاه عنده .. بان وضع سقاية فى رحل اخيه .. وقال إنه سرقها ومنعه من الرحيل معهم .. يروى لنا الحق القصة :

« قالوا إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه »
« من الآية ٧٨ من سورة يوسف »

واصر يوسف على ان ياخذ اخاه .. وحينئذ رفض اكبر الأخوة العودة مع القافلة .. وقال لإخوته :

« الم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله »
« من الآية ٨٠ من سورة يوسف »

ثم طلب منهم ان يرجعوا الى ابيهم ويقصوا عليه ماحدث ..

« قال ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق »
« من الآية ٨١ من سورة يوسف »

وعندما ابلغوا اباهم بالقصة حزن حزنا شديدا .. وطلب منهم ان يذهبوا .. ليبحثوا عن اخبار يوسف واخيه .. ولما ذهبوا الى يوسف وعرفوه .. وقالوا له إن اباه فقد البصر قال لهم :

« اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا »
« من الآية ٩٣ من سورة يوسف »

ولما وصلت القافلة الى المكان الذى يعيش فيه يعقوب :

« ولما فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف »
« من الآية ٩٤ من سورة يوسف »

ثم ذهب يعقوب وزوجته واولاده ..

« فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه »
« من الآية ٩٩ من سورة يوسف »

ثم بعد ذلك :

« ورفع أبويه على العرش »
« من الآية ١٠٠ من سورة يوسف »

الأخوة فى الاسلام أخوة دين فلا قرابة بين أخ مؤمن وأخ كافر

وبعد ذلك ويوسف يتحدث الى ابيه :

« وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى »
« من الاية ١٠٠ من سورة يوسف »

انظر كلمة الاب جاءت كم مرة .. لقد جاءت فى سورة يوسف وحدها .. ستا وعشرين مرة .. الذى يهمنا فى هذا كله هما أيتان كريمتان .. الآية الاولى :

« ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق »
« من الآية ٦ من سورة يوسف »

اسحق هو ابو يعقوب .. وابراهيم هو جد يعقوب .. إذن فعندنا يعقوب الاب الاول .. واسحق هو ابو يعقوب اى الاب الثانى .. وابراهيم ابو اسحق اى الاب الثالث .. والآية الثانية حين قال يوسف عليه السلام :

« واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب »
« من الآية ٣٨ من سورة يوسف »

وآباء جمع أب .. ومعنى ذلك ان ابراهيم اب واسحق اب ويعقوب اب .. يعقوب ابو يوسف مباشرة .. واسحق ابو يعقوب .. وابراهيم ابو اسحق .. ولكن القرآن الكريم جاء باسماء الثلاثة كاباء .. إذن فالأب يطلق على الجد .. وجد الاب .. وجد الجد الى ادم .. عندما نأتى الى سورة البقرة نقرأ قوله الحق سبحانه وتعالى :

« أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق »
« من الآية ١٣٣ من سورة البقرة »

مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة أحادا .. ومادام الله سبحانه وتعالى قال : « اباءك » .. فابراهيم اب .. واسماعيل اب .. واسحق اب .. ولكن اسماعيل اخ لاسحق .. اى ان اسحق هو الاب .. واسماعيل هو العم .. اذن فقد اطلقت كلمة الاب هنا .. على الجد والاب والعم ..

على اننا لابد أن نتنبه إذا اطلقت كلمة الاب بدون فلان .. اى قيل ابوك تنصرف الى الجد او الاب .. اما اذا اطلقت وبعدها الاسم .. كأن يقال ابوك فلان تنصرف الى العم .. اى ان الأب بدون تعريف الاسم تنصرف الى الأب الاصلى .. وبتعريف الاسم تعنى العم .

آزر ليس والد ابراهيم

نعود الى الآية الكريمة التى نحن بصددها :

« وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر »
« من الآية ٧٤ سورة الأنعام »

ولم يقل لابيه بدون تعريف او ذكر الاسم .. لو قال لابيه دون ذكر الاسم .. لكان الذى حدثه هو ابوه الذى هو من نسله .. ولكن قوله لابيه آذر .. والإتيان بالاسم للتعريف .. يدل على أنه ليس اباه الذى هو من نسله .. ولكنه عمه .. ولو انه أبوه حقا .. ماكان يقول آزر .. لو ان انسانا جاءك وسالك اين ابوك ؟ .. فهو يسالك عن ابيك الذى أنت من نسله .. ولكن لو سالك أين ابوك محمد او على ؟ .. فانه فى هذه الحالة يسالك عن اب لست أنت من نسله .. ولكنه عمك .. إذن فازر عدو الله .. ليس هو الصلب الذى انحدر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولكنه عم ابراهيم .. وبذلك نحل اللغز الذى شغل الناس .. ولو ان الحق سبحانه وتعالى قال :

« واذ قال ابراهيم لأبيه »

فقط لكان هذا هو الأب الحقيقى لابراهيم .. لانه فى هذه الحالة لايحتاج الى تعريف .. ولكن قوله آزر .. نبهنا الى انه ليس اباه ولكنه عمه .

يارب
من مات قبل اكتمال الدين

يقول الحق تبارك وتعالى :

« فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم » ..

وقد بينا معنى كلمة أواه .. أما الحليم فهو خلق للإنسان يجعله صبورا على الأذى .. صفوحا عن الذنب ..

يقول الحق جل جلاله :

« وماكان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون إن الله بكل شيء عليم »

نزلت هذه الآية لان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلوا بإخوانهم المؤمنين الذين ماتوا قبل ان تكتمل احكام الاسلام .. فالاسلام نزل فى ثلاثة وعشرين عاما .. هل من المفروض فيمن أمن من الأوائل ان يحاسبوا بكل أحكام الاسلام .. او بما نزل منه فقط حتى وفاتهم ؟ .. نقول انه لاأحد يحاسب .. الا بما بلغه من أحكام الاسلام .. بل قد يؤمن الانسان بها .. ولا يقوم بواحدة منها .. ويعتبر مسلما مؤمنا .

شهيد لم يصل ركعة واحدة

مثلا مخيرق اليهودى الذى أمن .. وبعد ان أعلن اسلامه .. وقال : مالى كله لمحمد .. جاءت الحرب فاسرع حاملا سيفه .. ودخل المعركة فاستشهد .. مخيرق هذا لم يصل ولا ركعة واحدة فى الاسلام .. لأن الزمن لم يسمح له بذلك .. ولكن لأنه آمن وحارب فى سبيل الله .. فاحتسب شهيدا .. فمن باب أولى ان الذى مات .. قبل أن تتم أحكام الاسلام .. يكون إسلامه صحيحا بقدر مانفذ من تعاليمه .. فالذى مات قبل أن تحرم الخمر تحريما نهائيا .. او قبل ان تحول القبلة .. من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام .. نقول : لاتحزنوا على هؤلاء .. لماذا ؟ .. لأن الحق سبحانه وتعالى يقول :

« وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين الله لهم مايتقون »

وهذا مانقول عليه فى عرف البشر .. لاتجريم إلا بنص .. لابد اولا ان يجرم الفعل .. والنص هو الذى يبلغنا ان هذا الفعل جريمة .. والذى لم يبلغه النص لانه مات .. قبل ان يوجد النص .. او الذى فعل شيئا ـ قبل تجريم هذا الفعل .. لايعتبر مرتكبا لجريمة .. ولذلك لايوجد شيء فى الاسلام .. اسمه باثر رجعى .. وعندما ينزل تحريم اى شيء .. يكون شائعا او موجودا .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

« إلا ماقد سلف »
« من الاية ٢٢ من سورة النساء »

فمن مات قبل أن تكتمل احكام الاسلام .. وادى مابلغه من هذه الاحكام .. استوى مع من أدى احكام الاسلام كلها بعد أن بلغته .. الحق سبحانه وتعالى يقول :

« وماكان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم »

اى ماكان الله ينسب قوما الى الضلال .. بعد ان هدوا للاسلام حتى يبين لهم أن هذه جريمة فلا تفعلوها .. وهذه طاعة فافعلوها .. ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

« إن الله بكل شيء عليم »

اى يعلم مانخفى وما نعلن »

ثم يلفتنا الحق سبحانه وتعالى بقوله جل جلاله :

« إن الله له ملك السموات والأرض يحيى ويميت »

نقول إن هناك ما لك .. وملك .. وقليك .. ومليك .. وملك .. وملكوت ..

مالك هو ماتكون انت مالكه .. والملك هو أن يملكك أنت ومن معك شخص مايملى عليك مايريد .. والمليك هو اتساع المقدور للانسان الذى يدخل فى سياسته وتدبيره .. ومايكون ظاهرا من الامور هو الملك .. وماله من أسرار خفية فى كونه هو الملكوت ..

نقول إياك ان تفهم ان الله حين يمنعك .. أن تستغفر لآبائك أو تقاطعهم .. أن ذلك يخل بوجودك فى الحياة .. لاننا جميعا داخلون فى ملك الله .. ومادام الله له الملك فى السموات والأرض .. فلا يضيرك من بعده شيء .. ولا يفوتك مع الله شيء .. وليكن هذا هدفك فى الحياة .. أن تكون مع الله



حقيقة الحياة

ثم ياتى الحق سبحانه وتعالى بمظهر القدرة التى لايشاركه جل جلاله فيها أحد .. العلماء جالوا فى : يحيى ويميت » .. إنه يحيى الجماد ويميت الانسان والحيوان .. ظنا منهم أن الحياة هى الحس والحركة التى نشاهدها .. ولكن الحقيقة ان الحياة هى ماأودعه الله سبحانه وتعالى .. فى كل ذرة فى الكون .. مما تؤدى به مهمتها .. فالرملة فيها حياة والجبل فيه حياة وكل شيء فيه حياة .. وإذا قرأت القرآن تجد فيه قول الحق سبحانه وتعالى :

« ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة
« من الآية ٤٢ من سورة الأنفال »

إذن فالحياة يقابلها الهلاك .. وفى آيات أخرى .. الموت يقابل الحياة .. اذن فالموت هو الهلاك .. الحق سبحانه وتعالى يقول :

« كل شيء هالك الا وجهه »
« من الآية ٨٨ من سورة القصص »

مادام الحق سبحانه وتعالى قال :

« كل شيء هالك »

وإلى لقاء اخر أن شاء الله



● السنة التاسعة العدد (٤٢٠) ● الخميس ١٢ من رجب ١٤١٠ هـ . ٨ من فبراير ١٩٩٠م ..

بسم الله الرحمن الرحيم

" إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "

(الآيات من ١١٦ الى ١٢٣ من سورة التوبة)

خواطرى حول القرآن الكريم

عندما نطلب من الله المغفرة

نكون قد استعذنا من صفات جلاله بصفات جماله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد وقفنا فى اللقاء السابق عند قول الحق سبحانه :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الله له ملك السموات والأرض يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير »

وقلنا : إن مادة الميم واللام والكاف .. تأتى مَلك بفتحة على الميم .. وتأتى ملك بضمه على الميم .. الملك بضم الميم هو أن تتسع قدرة الانسان بما يقوم على تدبير .. فشيخ القبيلة له ملك .. وعمدة القرية له ملك .. وحاكم الأمة له ملك .. وكل ملك فى الدنيا من الله .. فلا يوجد ملك يؤخذ قهرا عن الله سبحانه وتعالى .. اذا قرأت الآية الكريمة :

« قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير »

(الآية ٢٦ من سورة آل عمران)

اذا نظرنا لقول الحق سبحانه تعالى : « بيدك الخير » .. نجد أنها تأتى بعد أربعة أشياء متقابلة .. قوله تعالى :

« تؤتى الملك وتنزع الملك » ..

وقوله سبحانه :

« تعز من تشاء وتذل من تشاء »

إيتاء الملك فى عرف الناس خير .. ونزعه شر والعزة فى عرف الناس خير .. واذلالهم شر ..

ولكن الحق تبارك وتعالى لم يقل بيدك الخير والشر .. وانما قال عن كل بيدك الخير .. أى أن كل هذا خير .. فاذا جاء الملك لانسان نقول له خير .. استغله فيما يرضى الله .. واذا نزع منه الملك نقول له خير .. ربما أغراك الملك على المعصية والطغيان .. فنزعه الله سبحانه وتعالى منك لتتجه اليه .. وتبتعد عن الطريق الذى يؤدى بك الى جهنم والعياذ بالله ..

واذا أعزك الله جل جلاله نقول خير .. فقد يعز بك الحق فتقترب من الله .. واذا أذلك الله تبارك وتعالى نقول خير .. حتى تعلم أن الدنيا لاتدوم لأحد فتعمل لآخرتك .. اذن فإتيان الملك خير ونزعه خير .. والعزة خير والذلة خير .. وساعة تجد ملكا كبيرا لشخص فاياك أن تعتقد .. أن هذا الشخص قد أخذ الملك بجهد ذاتى أو بقدرة عقلية .. بل هو قد أخذه بقدرة الله وقدره .. والله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى :

« أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدى فإن أطاعنى عبادى جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن أطيعونى أعطفهم عليكم »



الحكمة عن تولى الظالم الملك

فلو أن الناس راعوا الله فى كل أمورهم لكانت ملوكهم عليهم رحمه .. إذن فلا أحد يأخذ الملك إلا بقضاء الله وقدره .. وكل شىء فى الوجود له حكمة .. فإذا رأيت ملكا ظالما آتاه الله الملك .. فلا تقل كيف يولى هذا الظالم الملك .. لانك لاتدرى لم آتاه الله الملك .. ربما جاء به ليربى أشرارا طغوا وبغوا .. فالله لايربى الأشرار بالأخيار .. لان الرجل الطيب سليم النية عطوف .. لايمكن ان يربى انسانا شريرا .. ولا يربى الانسان الشرير إلا من هو أشر منه .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

« وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا »

« الآية ١٢٩ سورة الأنعام »

فإذا كان هناك أشرار .. ولى الله عليهم من هو أشر منهم .. لأن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يسلط الله بها عليهم الشر .. فالظلم والطغيان بما قدمت أيديهم من شر وظلم وطغيان .. وتكون هذه لفتة بان الله قيوم قائم على كونه .

الظالم لا يستطيع حماية نفسه من القدر

والحق سبحانه وتعالى يقول :

« إن الله له ملك السموات والأرض يحيى ويميت ومالكم

الخلق مهما بلغوا من قدرة وطغيان
لايستطيعون حماية أنفسهم من أقدار الله

من دون الله من ولى ولا نصير » ..

مادام لله ملك السماوات والأرض وهو الذى يحيى، وهو الذى يميت .. فاياك أن تفتن فى غير خالقك .. وتحسب أن القوة والقدرة فى يد الخلق .. وليست فى يد الخالق .. فالخلق مهما بلغوا من قدرة وطغيان .. لايستطيعون حماية انفسهم من أقدار الله فى كونه .. فالانسان يكون اليوم حاكما له نفوذ وطغيان وجبروت .. وغدا قد يكون عاجزا عن حماية نفسه .. يبحث عن ملجا يحميه من بطش الناس فلا يجده .. وعن مكان يقيم فيه فتضيق عليه الأرض بما رحبت .. اذن فلاتتخذ وليا ولا نصيرا من البشر .. ولكن المولى والنصير هو الله وحده .. لانه سبحانه وتعالى القوى دائما .. والقادر دائما .

تشريع الله رحمة بالمذنب والمجتمع

الحق جل جلاله يقول :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم . ثم تاب عليهم . إنه بهم رءوف رحيم »

وقلنا إن التوبة لها مراحل .. توبة شرعها الله سبحانه وتعالى .. وتشريع التوبة من الله جل جلاله رحمة لكل خلقه .. المذنب منهم وغير المذنب .. لاننا كما قلنا لو لم يشرع الله التوبة .. لانتشر الظلم .. لأنه بمجرد أن يرتكب الانسان معصية واحدة .. ويعرف أنه لاتوبة له يزداد فى المعاصى .. لأنه لافائدة بعد ذلك من عمل الخير .. واذا ازداد الانسان فى المعاصى فالمجتمع كله يشقى بها .. لأن هذه المعصية هى اعتداء على خلق الله وحقوقهم ..

اذن فتشريع التوبة من الله رحمة .. وقبولها رحمة أخرى .. اذن ففى تشريع التوبة رحمة بالمذنب .. لأنها تفتح امامه طريق العودة الى الله .. ورحمة بالذى يقع عليه الذنب .. لأن الله سيبعد عنه شرور المذنب وطغيانه لأنه تاب .. وقبول التوبة رحمة بالمذنب ومن يقع عليه الذنب .. فاذا سمعت قول الحق سبحانه وتعالى :

« ثم تاب عليهم ليتوبوا »

نفهم أن الله شرع لهم التوبة ليتوبوا بالفعل .. ويقبل الله توبتهم .



الآية الكريمة تقول :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار »

فاى شىء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حتى يتوب الله عليه .. لو قرانا قول الحق سبحانه وتعالى :

« عفا الله عنك لم أذنت لهم »

« من الآية ٤٣ من سورة التوبة »

وذلك عندما جاء المنافقون .. ليستاذنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فى التخلف عن الغزوة واذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومع ان الحق سبحانه وتعالى قال :

« لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا »

« من الآية ٤٧ من سورة التوبة »

نعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. عندما اذن لهم فعل خيرا .. لأنهم كانوا أذى للمؤمنين وليسوا عونا لهم .. نعرف انه رغم ان الفطرة السليمة .. اذنت لهم لتقى المؤمنين المقاتلين شرهم .. إلا ان الحق سبحانه وتعالى لايريد من الناس ان يتصرفوا بالفطرة .. ولكن لابد أن يكون هناك تشريع يحكمهم ..

والله قدم العفو عن رسوله .. على الإذن لهم بالتخلف .. لأنه جل جلاله قد يعاتب عبده .. فى أشياء فعلها ضد صالح نفسه .. كيف ؟

نقول إنك اذا دخلت مثلا .. ورايت ابنك يذاكر عشرين ساعة فى اليوم .. كلما دخلت عليه وجدت النور موقدا والولد يذاكر .. عندما تدخل عليه وهو فى هذه الحالة .. فإنك تسحب منه الكتاب .. وتطفىء النور وتطلب منه أن يذهب إلى سريره .. انت تفعل ذلك لماذا ؟

لانك تحبه .. ولذلك تعنفه لا لأنه لايذاكر .. ولكن لأنه يذاكر ويتعب نفسه اكثر من اللازم ..

رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حينما سمح لقوم أن يتخلفوا عن القتال .. هذه ضد مصلحة الحرب ظاهرا .. ولكن فى الحقيقة كانت لمصلحة الحرب .. لأن تخلفهم منع اذى عن المؤمنين .. ولكن الرسول الكريم حينما سمح لهم بالتخلف عن الخروج للقتال .. كان يختار الطريق الأصعب .. ولكنه أختاره وهو يعلم بفطرته صلى الله عليه وسلم .. انه الطريق الذى لابد ان يمشى فيه ..

لماذا كادت تزيغ قلوبهم

الحق سبحانه وتعالى يقول :

« من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم »

يزيغ يعنى يميل، او يترك المعركة .. ولكن هل كانت هناك مبررات تغرى على ترك هذه الغزوة وعدم الاشتراك فيها ؟ .. نقول نعم .. كانت المعركة فى ساعة العسرة .. اى الضيق الشديد .. والمسافة طويلة جدا والجو حار .. ولم يكن معهم مايركبونه.. فقد كان مع كل عشرة من المؤمنين جمل واحد .. كل واحد يركبه ساعة .. وينزل ليركب الثانى وهكذا .. فقطعوا المسافة كلها تقريبا مشيا على الاقدام .. والمسافة كما قلنا كانت طويلة .. ولم يكن الطعام يكفيهم .. حتى إن الواحد منهم كان يضع التمرة فى فمه فترة من الوقت يستحلبها .. ثم يخرجها ليعطيها لغيره الذى يستحلبها .. ثم يخرجها ويعطيها لغيره .. حتى تصير التمرة نواة .. والشعير الذى كان معهم .. اصابه السوس، ومن كثرة السوس اصابه العفن .. حتى إن الواحد منهم اذا اخذ حفنة من شعير لياكلها لابد أن يمسك انفه حتى لايتاذى من رائحة عفن الشعير .. وفوق هذا كله كانوا يواجهون جنود الروم المسلحين تسليحا جيدا .. والمدربين على القتال كحرفه ..

ولهذه الصعاب كلها .. فإن بعض المؤمنين كانوا يريدون العودة الى المدينة .. اى زاغت قلوبهم ومالت الى ترك المعركة .. وتوبة الله سبحانه وتعالى على المؤمنين .. كانت عن الخواطر التى دارت فى قلوبهم .. وهم يواجهون كل هذه الظروف .. ويحدثون انفسهم بالعودة ..

إيمان أبى خيثمة

وعن اولئك الذين ترددوا فى الذهاب .. وحدثتهم انفسهم الا يذهبوا ثم ذهبوا .. مثل ابى خيثمة وكان له بستان فى المدينة .. دخل الى بستانه بعد مغادرة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة بعشرة ايام .. فوجد العريشتين اللتين اقامهما فى البستان .. وفى كل عريشه امراة من امراتيه .. فقد كان متزوجا بامراتين .. وقد أعدت كل منهما له طعاما شهيا وتمرا .. فلما راى ذلك كله .. مسته نفحة من الايمان .. وقال لنفسه : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفيح والريح .. والفيح الحرارة الشديدة جدا .. والريح تثير الأتربة والرمال .. وانا هنا فى ظل بارد وطعام مطهى .. وامراتين وعريشتين .. والله ماذلك إنصاف لك يارسول الله .. واخذ زمام راحلته وانطلق بها .. وامراتاه تحاولان إثناءه عن الرحيل فلم يلتفت اليهما حتى لحق برسول الله صلى الله عل[يه] وسلم ..

هذا معنى قول الحق سبحا[نه] وتعالى :

« لقد تاب الله على النب[ى] والمهاجرين والانصار الذ[ين] اتبعوه فى ساعة العسرة م[ن] بعد ماكاد يزيغ قلوب فري[ق] منهم ثم تاب عليهم إنه ب[هم] رءوف رحيم » .

اى كان هناك مؤمنون مع رسو[ل] الله صلى الله عليه وسلم .. تحدثه[م] انفسهم بالعودة وترك المعركة وكان هناك مؤمنون مثل اب[ى] خيثمة .. حدثتهم نفوسهم بالتخلف ثم لحقوا برسول الله صلى الله علي[ه] وسلم .. وهناك آخرون تاب الل[ه] عليهم .. ذكرهم الله سبحان[ه] وتعالى .. فى قوله جل جلاله :

« وآخرون مرجون لأمر الله إم[ا] يعذبهم وإما يتوب عليهم والل[ه] عليم حكيم »

« من الآية ١٠٦ سورة التوبة »



وعندما تحدثنا عن هذه الآية فى حلقة سابقة .. قلنا لن نتعرض لهؤلاء حتى ياتى قول الله فيهم .. وفى الآية التى نحن بصددها الآن .. جاء حكم الله عز وجل فيهم فى قوله :

« وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »



خمسون يوما قاسية على المخلفين

قول الحق سبحانه وتعالى :

« وعلى الثلاثة الذين خلفوا »

تدل على أن احدا قال لهم تخلفوا .. ولكن احدا لم يقل لهم ان يتخلفوا .. وانما المقصود بخلفوا هنا .. أن امر الله لم يذكر فيهم كما ذكر فى غيرهم .. اى أنه تاخر ذكر حكم الله عليهم فى تخلفهم .. وقوله تعالى:

« وضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم »

نقول إن الانسان اذا شغله هم .. فانه محتاج الى أن يغادر المكان الذى

حدث له فيه الهم .. ويذهب الى مكان آخر .. ولو لفترة قصيرة ليروح عن نفسه .. فاذا ضاقت عليه الأرض على سعتها .. فقد تسعه نفسه .. ولكن اذا ضاقت عليه نفسه .. يكون قد بلغ من الضيق مالا مزيل له إلا الله ..

فالثلاثة الذين تتحدث عنهم الآية الكريمة .. تخلفوا عن الغزوة بلا عذر ولكن تخلفوا كسلا وتراخيا .. رسول الله صلى الله عليه وسلم .. امر المسلمين بمقاطعتهم .. فكان الواحد منهم يخرج الى السوق فلا يكلمه احد .. ويذهب الى اقاربه فلا يكلمه احد .. ويتسلق الجدران ليلتفت اليه الناس فلا ينظر اليه أحد .. وتصاعدت المقاطعة ، حتى وصلت الى زوجاتهم .. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنساء هؤلاء الثلاثة .. (إياكن ان يقربكن .. فتمتنع الزوجات أن يقربهن ازواجهن .. حتى إن امراة هلال بن امية .. ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقالت إن زوجي مريض ضعيف وانا استاذنك في أن أضع له مايقيمه .. فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام .. على الا يقربك .. فجاء كعب بن مالك احد المخلفين الثلاثة .. وقد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. صرح لأمراة هلال ان تخدمه .. وقالوا له إذهب الى رسول الله واستاذنه أن تخدمك امراتك .. فقال إن هلال رجل شيخ .. فماذا اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شاب .. والله لاأذهب ابدا .. وقد ظل هؤلاء الثلاثة خمسين يوما على هذا الحال .. الى ان جاء امر الله بالتوبة ..

وكانت هذه الأيام الخمسون تمحيصا لهم .. وقال كعب بن مالك ماكنت يوما اقدر مني يوم هذه الغزوة .. كان عندي ماأركبه .. وما أحمل عليه غيري .. وليس لي عذر فيما حدث .. ثم جاءه من يبشره .. ويقول له ياكعب ابشر بخير يوم مر عليك .. فقد أنزل الله فيك قرآنا فتاب عليك .. قال كعب فلم اجد عندي ماأهديه اليه لأنه بشرني .. الا ثوبين خلعتهما وأعطيتهما له .. ثم استعرت ثوبين ذهبت بهما الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقلت يارسول الله .. إن من تمام توبتي أن أترك مالي .. الذي كان سببا في هذه المخالفة .





اذن ففترة الخمسين يوما كانت اختبارا للثلاثة .. وعظة لغيرهم .. وقول الحق سبحانه وتعالى :

« أن لاملجأ من الله إلا إليه » ..

إذا رأيت إنسانا أوتي ملكا كبيرا

فاعلم أنه أخذه بقدرة الله وليس بجهده الذاتي

معناها انهم عرفوا انه لن يجيرهم الا الله .. والانسان يلجا إلى الله يشكو له ظلم خلقه .. ويلجا إلى الله ليحميه من النار .. لماذا ؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى له صفات جلال وصفات جمال .. من صفات الجلال .. القهار والجبار والمنتقم .. ومن صفات الجمال الغفور والرحيم ..

فاذا اذنب انسان يكون المجال لصفات الجلال .. اى المنتقم الجبار .. ومادام الأمر لصفات الجلال .. فلا مجال للنجاة منها الا باللجوء لصفات الجمال ..

ولذلك يقال اعوذ بك منك .. اى اعوذ بصفات الجمال فيك .. من صفات الجلال منك ..

اى انه لايوجد من يحميني من صفات جلالك الا صفات جمالك .. وعندما جاء الحديث واذا كانت آخر ليلة من رمضان يتجلى الجبار بالمغفرة .. الناس يظنون أن المسالة ليست منطقية .. كيف يتجلى الجبار بالمغفرة ؟ .. الا يقال يتجلى الغفار بالمغفرة ؟ .. نقول لا .. لأن المغفرة تقتضي ذنبا .. والذنب يقتضي خضوعا لصفات الجلال من الله ..

والجبار من صفات الجلال .. فتأتي صفة من صفات الجمال تأخذ من صفة الجبار سلطتها .. فكان صفات الجمال تشفع عند صفات الجلال ..

فيتجلى الجبار بالمغفرة .. ولا يتجلى الغفار بالمغفرة .. ولذلك قال الأصمعي عندما ذهب إلى الكعبة ليتوب .. سمع واحدا عند باب الكعبة يقول ..

والله ماأستحي ان أطلب منك يارب المغفرة لاني عصيتك ولكني تطلعت فلم أجد إلها سواك يغفر لي .. فقال له الأصمعي .. ياهذا إن الله يغفر لك لحسن مطلبك .

يقول الحق تبارك وتعالى :

« ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »

مادام الحق سبحانه وتعالى قد تاب عليهم .. فلماذا جاء بقوله تعالى : « ليتوبوا » .. نقول انك اخذت التوبة من حكاية الذنب .. ولكن قول الحق سبحانه وتعالى : « ليتوبوا » .. اى ليعودوا الى ماكانوا عليه قبل المعصية .

مطالبة المؤمن بدوام الإيمان

الحق سبحانه وتعالى يقول :

« ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

ولقد قلنا إنه عندما ينادي الحق سبحانه وتعالى عباده المؤمنين .. إنما يناديهم بحكم إيماني .. أو يطلب منهم الايمان .. مثل قوله تبارك وتعالى :

« ياأيها الذين آمنوا آمنوا »
« من الآية ١٣٦ سورة النساء »

مادام الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بانهم مؤمنون .. فكيف يطلب ان يؤمنوا .. نقول انه جل جلاله يريد منهم المداومة على الايمان .. لأنه من الممكن للانسان ان يؤمن ثم يرجع عن ايمانه .. ولذلك فالايمان موجود فيهم .. ولكن الله يطلب استمراره .. الحق سبحانه وتعالى في الآية التي نحن بصددها يقول :

« ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله »

اى يامن آمنتم بالله اتقوا الله .. اى اجعلوا بينكم وبين الله وقاية .. ولكن المفروض أن المؤمن يكون في معية الله .. فكيف يطلب الحق سبحانه وتعالى منا .. أن نجعل بيننا وبينه وقاية ؟ .. نقول إن المعنى .. اجعلوا بينكم وبين صفات الجلال في الله وقاية ..

هنا ياتي من يتساءل .. الله سبحانه وتعالى يقول :

« اتقوا الله »

ويقول : « اتقوا النار » .. فكيف ينسجم المعنى ؟ .. نقول إن المعنى منسجم .. لان النار جندي من جنود صفات الجلال لله .. فكان الحق تبارك وتعالى يقول .. اجعلوا بينكم وبين صفات الجلال لله وقاية .. والنار من جنود صفات الجلال .. فاجعلوا بينكم وبين النار وقاية .

مفهوم الصدق

ويقول الحق جل جلاله :

« وكونوا مع الصادقين »

العلماء قالوا إن المعنى كونوا من الصادقين .. نقول : إن هناك فرقا بين مع الصادقين .. ومن الصادقين .. فمع الصادقين معناها .. التحموا بهم فتكونوا في معية الله .. فاذا جاء من بعدكم وجدوكم من الصادقين .. اذن فمع الصادقين سابقة لمن الصادقين .. ولكن من هم الصادقون ؟ .. مادة صاد ودال وقاف .. اى صدق .. تدل على ان هناك نسبا يجب ان تتوافق ..

مامعنى هذه النسب ؟ .. نقول إن الانسان حين يتكلم .. فانه قبل أن ينطق بالكلمة تمر على ذهنه ثم ينطقها .. اذن فالكلمة قبل أن تكون نسبة كلامية تكون نسبة ذهنية ..

اذا اردت ان أقول محمد زارني .. قبل ان تسمع لساني ينطق بهذه العبارة مرت على ذهني أولا .. والمستمع لايدري شيئا عنها .. ولكن المتكلم يعرف .. فاذا قلت لي كلاما اعلم أن النسبة الذهنية .. جاءت إلى عقلك فترجمها لسانك الى نسبة كلامية .. فلما سمعها السامع عرف النسبتين ..

قد تكون هذه النسبة صحيحة وواقعة .. مثلما تقول محمد زارني امس .. ويكون ذلك واقعا فتكون صادقا .. اذن فالصدق أن تطابق النسبة الكلامية الواقع .. فهناك نسبة ذهنية ونسبة كلامية ونسبة واقعية .. فاذا تطابقت النسبة الكلامية مع الواقع فذلك هو الصدق .. واذا لم تتطابق فذلك هو الكذب .. فكل كلام تقوله يحتمل الصدق والكذب .. ان كان واقعا فهو صدق .. وان لم يقع فهو كذب .. على ان هناك نسبة واقعية تحدث بعد الكلام .. كأن تقول لشخص سأزورك غدا .. ان كانت واقعا سيحدث فهي صدق .. وان كانت مجرد كلام لن يحدث فهي كذب ..

ثمرة الصدق

والصدق هو الذي يجمع كل خصال الايمان .. فالرجل البدوي الذي ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقال له يارسول الله ..

في ثلاث خصال لااقدر عليها .. الاولى هي النساء .. والثانية هي الخمر - والثالثة هي الكذب .. وقد جئتك يارسول الله لكي تختار لي .. خصلة من الخصال الثلاث اتوب عنها ..

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كن صادقا وما عليك .. فلما جاء خصلة شرب الخمر .. قال وإن سالني رسول الله صلى الله عليه

الله لايريد أن نتصرف بالفطرة ولكن بتشريع سماوى يحكمنا جميعا

وسلم .. أشربت الخمر أو لم تشرب ؟ .. ماذا أفعل ؟ لابد أن اقول له .. فامتنع عنها .. وعندما نظر إلى امرأة واشتهاها .. قال إن سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا فعلت مع النساء ؟ ماذا أقول ؟ ..

فامتنع عن النساء .. وهكذا منعه الصدق من المعاصى .. ولذلك عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. (ايسرق المؤمن ؟ .. قال نعم .. ايزنى المؤمن ؟ .. قال نعم .. ايكذب المؤمن ؟ .. قال لا)

وقول الحق سبحانه وتعالى :

« كونوا مع الصادقين »

اى لابد أن يكون كلامكم مطابقا لواقع فعلكم .. إياك أن تقول كلاما وفعلك ينفى .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

« ياأيها الذين أمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

● الايتان ٢ و ٣ من سورة الصف ●

وقوله جل جلاله :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة »

● من الآية ٧٧ من سورة البقرة ●

اذن فالمسالة ليست شكلية .. ولكنها ايمان حقيقى صادق .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

« وآتى المال على حبه »

وقال :

« وآتى الزكاة »

أليس المعنى مكررا ؟ .. نقول لا .. لأن المال على حبه هو الزكاة غير الواجبة .. اما الزكاة فهى الواجبة المفروضة .



حب العاطفة وحب العقل

الحق سبحانه وتعالى قال :

« وكونوا مع الصادقين »

اى طلب منهم أن يكونوا صادقين .. نقول لأن من تخلف عن الغزوات .. بعضهم كذب فى العذر .. وبعضهم صدق فى العذر .. فقال لهم جميعا ادخلوا من باب الصدق .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

« ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله »

- وهذا رجوع إلى المتخلفين عن الغزوة .. ونحن قلنا ساعة ان تسمع ماكان لك ان تفعل كذا .. اى ماكان يليق بك ان تفعل .. وهذا خطاب للذين تخلفوا عن رسول الله .. اى تخلفوا عن الغزو معه .. ثم يقول الحق جل جلاله :

« ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه »

هناك نفسان فى هذه الآية .. نفوس الذين تخلفوا .. ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومعنى يرغبوا .. اذا قلت رغبت .. اى ملت ميلا قلبيا الى شىء .. تقول رغبت فى كذا .. اى ملت الى عمله،ورغبت عن كذا .. اى ملت الى تركه .. اذن فحرف الجر هو الذى يحدد اذا كنت ملت إلى كذا .. أو ضد،بمعنى ملت عن كذا .. اذن فقول الحق :

« ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه »

اى يميلون الى امن نفوسهم فاهتموا بها .. وتركوا أمن رسول الله .. فكانهم فضلوا امن نفوسهم على أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اى أن الحق سبحانه وتعالى يقول لهم ماكان لكم أن تفعلوا هذا .. لانكم مادمتم قد آمنتم بالله .. لايكون ايمانكم صحيحا .. حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أحب اليكم من انفسكم .

ولذلك فسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه)

قال له يارسول الله أنا أحبك عن اهلى وعن مالى .. وانما عن نفسى لا .. فكررها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفس الكلام .. فكررها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرة الثالثة : (لايؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من نفسه) .. فعلم عمر رضى الله عنه .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. جازم فى القضية الايمانية .. وان الحب المطلوب ليس حب العاطفة .. ولكنه حب العقل

وهناك فرق بين حب العاطفة وحب العقل .. حب العاطفة ليس فيه تكليف .. لااحد يكلفك فيه ولاتملك السيطرة عليه .. ولكن حب العقل هو الذى يأتى التكليف فيه .. وحب العقل عندما يقول لك أحد الناس احب فلانا .. صحيح أنه إبن عدوك .. ولكنه زكى وجرىء وعالم ..

وسيفيدك اذا عمل معك فائدة كبيرة .. وفى نفس الوقت هو أمين لن يخونك .. هذا هو حب العقل .. ولكن حب العاطفة الذى لامنطق فيه انك تحب ابنك رغم انه فاشل وفاسد ومتلاف .. حب العقل أن تحب الدواء المر .. الدواء يكون طعمه كالعلقم .. وانت تحرص على ان تتناوله .. وتراقب موعده حتى لايفوتك .. هل تحب الدواء المر بعاطفتك ؟ .. لا .. انما تحبه بعقلك .. لانه هو من أسباب العافية لك من مرضك .. واذا اختفى من الصيدليات تبحث عنه فى كل مكان ..

حب رسول الله

الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ماكان لهم أن يفعلوا ذلك لانه يناقض ايمانهم .. فى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اليهم من أنفسهم ..

لماذا ؟ .. لأن حبهم لانفسهم إن جاءهم بخير فخيره محدود وموقوت .. أياما معدودة وبامكانيات الدنيا ..

اما حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فانه هو الذى سيأتى لهم بالجنة .. فلذلك ماكان يجب أن يحدث هذا منهم .. ونقرأ الحيثيات فى الآية الكريمة :

« ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح »

الظما أصاب جيش العسرة .. لدرجة انهم كانوا يذبحون البعير ..

لياخذوا الماء الموجود فى جوفه ليبلوا به ريقهم .. والنصب هو التعب وكانت الغزوة غاية فى التعب ..

والمخمصة هى المجاعة .. وقد اكلوا التمر بالدود والشعير بالسوس والعفن ..

« ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار »

أى أن انتصارهم فى الغزو واستيلاءهم على مايملكه الكفار من الأرض يغيظ الكفار ..

« ولا ينالون من عدو نيلا »

أى يصيبون العدو بالخسائر - كل واحدة من هؤلاء لها جزاء .. ماهو الجزاء ؟ ..

« إلا كتب لهم به عمل صالح »

إذن فهم اذا رغبوا بانفسهم عن رسول الله يكونون قد خسروا خسرانا كبيرا ..

وهناك أشياء أخرى للثواب غير كل ماذكر .. فى قوله تبارك وتعالى :

« ولاينفقون نفقة صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون » ..

اذن فكل شىء محسوب .. لأن دين الله يحتاج إلى امرين .. امر يحمله الناس .. وأمر يثبت صدقه فى الناس .. فالذين يضحون بانفسهم واموالهم .. ويستشهدون فى سبيل الله .. لو لم يكونوا متيقنين أن لهم الجنة مافعلوا ذلك .. والانسان لايضحى بنفسه الا اذا كان على ثقة بان الجزاء سيأتيه .

هذه خدمت القضية الأولى .. اما القضية الثانية .. فهى قول الله تعالى :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة »

ليظل قوم مع رسول الله .. يسمعون منه ويتفقهون فى منهج الله .. اذن فهناك قوم يحملون الدليل على صدق قضايا الاسلام بأن يقاتلوا ويستشهدوا .. وهناك قوم بقوا ليحملوا أمر الاسلام .. ويحملوا أمانة الله الى خلق الله .

وإلى لقاء اخر أن شاء الله